المحاضرة الحادية عشر: أهم المظاهر الحضارية في مصر الفرعونية.

أولا. المظهر الديني:

ظاهرة تعدد الآلهة: عبد المصريون القدامى الإله الأزلي آتون–رع ثم ابنه "شو"، ومنه جاء "جيب –كب Geb" ثم ايزيس فحورس، الاله "ســت" المتمثل بالأفعى، والاله حورس الممثل بالصــقر. واعتبر الفراعنة أنفســهم خدام الاله حورس كما اعتبروا أنفســهم أنصــاف آلهة ثم جعلوا أنفســهم آلهة. كما عبد المصــريون الكثير من الحيوانات ومظاهر الطبيعة والقوى الخفية الكامنة خلفها (لا الحيوان في حد ذاته ولكن القوة الكامنة فيه) فعبدوا الثعبان في الصـحراء والتمساح في النيل، والكبش والثور وهذا ما يظهر في النقوش المصرية كما عبدوا الالهة المركبة (جسم انسان رأس حيوان) كالإله العجل أنوبيس.

اضافة الى كل هذا عبد المصريون الاله رع في ممفيس وآمون في طيبة وفي مرحلة الوحدة عبد الاله آمون–رع، ولما وقعت ثورة أمنحوتب الرابع أصبح اله الشمس اتون هو إله مصر وأطلق الملك على نفســه لقب أخناتون وألغيت عبادة بقية الالهة ولكن هذه الديانة اختفت بعد وفاة أخناتون، أين تمكن الكهنة من اعادة امتيازاتهم التي فقدوها.

– الحياة الآخرة:

اعتقد المصـريون باسـتمرار الحياة بعد الموت، واعتقدوا بمثول الأرواح للحسـاب أمام الاله أوزوريس، فبرزت أمام المصريين مسألة الحساب لذلك وضـع المصريون مع الميت كتابا يسمى كتاب "الموتى" يسـتعين به الميت في مواجهة أوزوريس ومما ورد فيه أن يردد الميت سـاعة الحسـاب: "لم أعنف الفقراء ولم أجوعهم، ولم أسـئ معاملة الناس، ولم أحمل نفسا فوق طاقتها، ولم أقتل، ولم أسرق، ولم أكذب، لم أتعرض للحيوانات المقدسـة،..لم أنزع من عيار الموازين، بل أقمت على احترام الالهة فأنا طاهر على طاهر وتتماثل كفتا الميزان" قلب الميت من جهة وتمثال الحقيقة من جهة أخرى، ويردد صـاحب القلب "...يا قلب لا تقف شـاهدا ضـدي ولا ترجع الكفة علي أمام سيد الميزان...". ويتحقق من الميزان 42 قاضـيا بعدد مقاطعات مصـر، فاذا توازنت كفتا الميزان فالميت قد عاش وفق القانون ويحظى بالحياة الأبدية واذا اختل الميزان تبتلعه الملتهمة، وكان المصـــريون القدامى يعتقدون أن السبب الرئيسي للخلود هو حفظ الجسد (التحنيط.(Embaumements

كما امن المصـريون بظاهرة تجدد الحياة وهذا ما يمكن أن يسـتخلص من أسـطورة أوزوريس التي ملخصها كما يلي:

- أن الحسد قد باعد بين الأخوين (أوزوريس (النيل) و ست (الصحراء)) فقام الأخير بقتل أخيه وتقطيعه، ثم وضعه في صندوق وتركه في النيل ومنه الى البحر أين تقادفته الأمواج الى شاطئ بيبلوس (جبيل حاليا)، فقامت .....أخت أوزوريس وزوجته في آن واحد تبحث عنه وتجمع أشلاءه وساعدها في ذلك ابنها حورس والاله (أنوبيس) فتمكنت بحبها وسلطان السحر أن تعيده للحياة فبعث أوزوريس بحياة خالدة لا يمسها الفناء والشيخوخة.

ثانيا– **العمارة (العمران):**

المعابد :Le Temple لا تخلوا منطقة في مصر من المعابد والمقابر وأهمها معبد الكرنك، ومعبد الأقصر، ومعبد أبو سمبل (النوبة)، ومعبد دير البحري ونظرا لأهميته وضخامته صار المعبد مؤسسة مستقلة بذاتها ويشكل نواة مدينة فهو يضم الكهنة والموظفون والعمال والحرس والفلاحين للاهتمام بالمعبد ومملكاته، كون هذه المعابد كانت ضخمة جدا حتى تليق بآلهتهم كمعبد الكرنك الذي يزيد طوله عن 100م وينقسم الى:

- برجان ضخمان عند المدخل: أمام كل واحد منهما سلة حجرية وسارية ترفرف عليها الأعلام (وفي بعض المعابد يحيط بالمدخل صفان من تمثال أبو الهول).
- في نهاية المدخل توجد بوابة تؤدي الى باحة محاطة بأعمدة وفي نهاية الباحة يوجد بهو الأعمدة الدي لا يدخله الا الكهنة وأصحاب النفوذ.
- يلي بهو الأعمدة حجرة سرية يحيط بها مقصورات تعج بالنفائس منها تمثال الاله.

المقابر :

- بداية كان يتم دفن الميت في سرداب أرضي متعرج يصعب الاهتداء اليه وتبنى فوق مدخله مصطبة كبيرة أو صغيرة حسب مكانة الميت.
- في عهد الملك سنيفرو جعل هذا السرداب يغلق بعدة مصاطب وهذا ما أعطى شكل الهرم المدرج المعروف باسم هرم سقارة والهرم المدرج هو مرحلة وسطى بين مرحلة الهرم الكبير ومرحلة المصاطب البدائية. حيث قام فراعنة الدولة القديمة (خوفو، خفرع، منقرع) ببناء ثلاثة أهرامات لتكون قبورا لهم ولعائلاتهم في الجيزة بالقرب من القاهرة حاليا، أو قرب منف (منفيس) عاصمة دولتهم، وجعلوا داخلها السراديب والمتاهات.

أما العهد الثالث فهو المقابر المنقوشة في الشواهق الصخرية المطلة على وادي النيل مثل قبر: توت، عنخ، أمون.

وتمثل المقابر عادة ثلاث أجزاء:

- السراديب المتعرجة
- الغرفة الحالية (الرواق) المزينة بالرسوم والتي تعج بالنفائس
- بئر عميقة تؤدي الى حجرة الميت وبها توجد المومياء.

ثالثا– **الكتابة والأدب والعلوم (الرسم والنحت وعلاقته بالجانب الديني):**

1–: الكتابة: تمكن المصـــريون من اختراع الكتابة والرموز التعبيرية التي أدخلت مصـــر المرحلة التاريخية وهي : الكتابة الهيروغليفية وتعني حرفيا الحروف المنقوشة المقدسة لأنها تستعمل لكتابة النصـوص الدينية وتكتب في المساجد والمقابر. وحل رموزها العالم الفرنسـي "شـامب ليون"1822م عبر قرائته لحجر الرشـيد، ومرت هذه الكتابة عبر مرحلتي التصـوير أي أن الصـورة تعبر عن الفكرة أو الكلمة، ثم تطورت إلى فهم المقطع الصـوتي، اسـتمر التعامل بهذه الكتابة الى القرن 7 ق.م أين تطورت عنها الهيراليقية– الكتابة الكهنوتية وهي اختزال للهيروغليفية، ثم لاحقا برزت الكتابة القبطية التي هي عبارة عن حروف لاتينية ويونانية جاءت مع انتشار المسيحية.....

2– الأدب: لعل أبرزها قصائد الفرعون أخناتون، وأشهرها نشيد آتون، إضافة إلى كتاب الموتى، ...

3–: العلوم: كان المصـريون أول من قسـم السـنة إلى 12 شـهرا وجعل اليوم 24 سـاعة بواسـطة الساعات المائية ليلا والشمس نهارا، ومن أهم العلوم عند المصريين القدماء نبرز:

- **التقويم:** عرفوا التقويم منذ القرن 25 ق م، فقد لاحظوا أن فيضـــان النيل يتكرر بانتظام مدهش فأخدوا يعدون الأيام التي تفصل بين فيضانين، حتى استقر رأيهم على 365 يوما فكانت السنة النيلية وقسموا السنة إلى أربعة فصول أولها فصل الفيضانات.
- **الأعداد:** جهل المصـــريون الصـــفر وكان العدد الأول يرمزون له بخط عمودي ويتكرر حتى العشرة التي يرمز لها بـ U مقلوبة، ومع الوقت طوروا علم الحساب واتخذوا من الجمع والضرب والقسمة أساسا في مختلف الحسابات.
- **الهندســة:** برعوا في هندسـة المسـاحة لحاجتهم إليها في تحديد الممتلكات، لأن النيل كلما فاض بدل المعالم والمســاحات، فيقتضـــي بعد كل فيضـــان أن تعاد الحدود السابقة، كذلك برعوا في هندسة البناء ووضع التصاميم وقياساتها اللازمة

عبر تمكنهم من إدراك الطريقة الصحيحة لحساب المستطيلات والمثلثات والدوائر.

- **الطب:** دفع المصريون بالطب أشواطا إلى الأمام، ولكنهم عجزوا عن تحريره كليا من السحر، وهذا ما يتضح من وثائق البردي التي عثر عليها العلماء المعاصرون، فمارسوا التحنيط الذي ساعدهم على التقدم الطبي والمعرفة الطبية كون التحنيط يستدعي تجويف الجسد، دون القلب الذي يحظى بمنزلة خاصة، كما جوفوا الرأس وما يحيط بالنخاع، ولكنهم عجزوا عن فهم الدورة الدموية، فتمكنوا من معالجة الجراح والكسور والالتهابات واضطرابات الأمعاء من خلال العقاقير والأدوية المناسبة لذلك.

رابعا–المجتمع المصري: قام المجمع المصري القديم على فكرة الطبقية كما يلي:

1– الطبقة العليا: وهي المستأثرة بمقدرات البلاد وتضم الفرعون الذي يعتبر خادما للإله حورس ورمز الوحدة المصرية، ثم أعتبر بمرتبة نصف إله، ثم تأتي طبقة النبلاء وحاشية الفرعون من أقربائه وانسابه والمخلصين له كالوزراء والكهنة والكتبة وسائر الموظفين.

فبداية كان الفرعون– (فرعو: البيت العالي، القصر القديم، أسرة 18، فرعون البيت وصاحبه والعرب أضافوا عون فأصبحت فرعون)– هو نفسه الاله والملك والقائد وهو الكاهن ويصدر التشريعات فكل الأمور بيده، ومع توسع الدولة برز الكهان والوزراء والقضاة وتراوحت القوانين في الأحكام المصرية القديمة بين الاعدام والسجن، النفي وقطع الأعضاء....

2– الطبقة العامة: والمقصود بها الطبقة المحكومة وتمثل سواد السكان وتضم الفلاحين ومعظمهم لا يمتلكون الأراضي التي تعتبر ملك إما للملك أو المعبد، ونجد أيضا فئة العمال المنشغلين بالحرف التقليدية والنسيج والخزف والحلي والصيد، ثم يأتي الجيش وهو غالبا من العامة ولا يتم تجنيد الجيش بكثافة إلا في حالات الحروب والأخطار الخارجية.

3– العبيد: وهم فئة مهمة في المجتمع المصري القديم يتم تسخيرهم للخدمة عند الأشراف وفي المعابد والمهن الشاقة....

للاستزادة أنظر:

1- إيناس بهي الدين عبد النعيم: المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة الكبش، منذ بداية العصور التاريخية وحتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجيستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2002.

2- حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته، بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

3- سير و. م فلندرزبيثري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، تر. حسن محمد جوهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.

4- ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الأول، تر. فؤاد أندروس، علي أدهم، دار الجيل، بيروت، د.ت.

5- ناصر الأنصاري: المجمل في تاريخ مصر، النظم السياسية والقانونية، ط. 1، دار الشرق، القاهرة، 1997.

6- سيريل ألدريد: الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، تر. مختار السويفى، ط. 2، الدار البنانية، 1992.

7- ف. دياكوف، س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ج. 1، تر. نسيم واكيم اليازجي، ط. 1، دارعلاء الدين، دمشق، 2000.

8- سمير أديب: تاريخ وحضارة مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1997.